تفريغ

أهمية الارتباط بمنهج السلف وخطورة الابتعاد عنه

فضيلة الشيخ

عبد الله بن صلفيق الظفيري

حفظه الله



ميراث الأنبياء

Miraath.Net

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء



يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأنبيَاءِ أن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجِيلًا لكلمة بعنوان:



ألقاها

فضيلة الشيخ عبد الله بن صلفيق الظفيري

–حفظه الله تعالى–

يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي القعدة عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية، في مسجد السعيدي بمدينة الجهراء بالكويت.

نَسألُ اللّهَ سُبحَانَهُ وَتَعالَى أنْ يَنْفَعَ بهَا الجَمِيع.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن أتبع هداه أما بعد:

فحرصًا منا على الاستفادة من حضور المشايخ وهذا دأب طلاب العلم -إن شاء الله-أن يحرصوا على أهل العلم الحاضرين والبعيدين، اغتنمنا مثل هذه الفرصة حتى نستفيد من الشيخ أبي عبد الرحمن -حفظه الله تعالى-الشيخ عبد الله بن صلفيق الظفيري ليلقي لنا كلمة نستفيد منها جميعًا فأسأل الله-سبحانه وتعالى-أن يوفقه ويسدده للصواب والخير في الدنيا والآخرة وأن يثبتنا وإياكم على السنة فليتفضل مشكورًا مأجورًا، جزاه الله خيرًا.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقني وإياكم إلى العلم النافع والعمل الصالح وأن يرزقنا حسن الاتباع وصدق الإخلاص وأن يمتعنا وإياكم بالعلم النافع وطاعة الله -تعالى- وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فإن السعادة كل السعادة في تحقيق العبادة لله - تعالى - وتحقيق الاتباع للرسول - صلى الله عليه وسلم -، فإن الله – تعالى- ما خلق الخلق إلا لغاية عظيمة ثقلت أمانتها على السماوات والأرض والجبال فحملها الإنسان وكان بها ظلومًا جهولًا والسعيد من حققها، وبمقدار اتباع العبد للرسول - صلى الله عليه وسلم -

وتحقيقه للعبادة؛ بمقدار ذلك ينال سعادة الدنيا والآخرة، فلا تكمل سعادة العبد إلا بطاعة الله وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، كما قال –تعالى–: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧]،

فبِمقدارِ اتِّباعِ العبد للرسول – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم–، وبِمقدارِ تحقيقِهِ للعِبادةِ، وتحقيقِهِ للتَّوحيد والعِبادة، وطاعة اللهِ، وطاعة رسولِهِ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم–، بِمقدارِ ما يتحصَّلُهُ العبدُ من انشِراحِ صدرِهِ، وطُمأنينةِ قلبِه، وراحةِ بالِهِ، وكُلُّ ذلكَ يتحقَّقُ بتحقيقِ الإيمان الصَّادِق، وتحقيق العمل الصَّالِح، المبني على الإخلاصِ لله – تعالى–، وعَلَى اتِّباعِ رسولِهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم–، وكُلُّ ذلك لا يتحقَّقُهُ العبدُ ولا يكمُلُ عندهُ إلا بالعِلم، فإنَّ العلمَ أساسُ كُل خير.

فالعِبادةُ تُشرَعُ على ما بيَّنَ اللهُ، وما بيَّنَ رسولُهُ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم–، وهذا يتحقَّقُ بالعِلم، العِلم النَّافِع، المبني على كِتابِ الله، وعلى سُنَّة رسولِهِ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم–، فلِذلك كان العُلماءُ بسببِ العِلم؛ أوصَلَهُم ذلِكَ إلى مراتِب عالية، وكانَ أعلاها خشيةُ الله، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:28]، والخشيةُ أجلُّ عِباداتِ القلب، ويترتَّب عليها كُلُّ خير وكُلُّ سعادة، فإذا خَشِيَ العبدُ ربَّهُ، فإنَّهُ يسعى لتحقيقِ ما يُرْضي ربَّهُ، وأعظمُ ما يُرضي

ربَّ العَالمين الإخلاص، المبني على التَّوحيد الصَّادِق والخالص لله، والاتِّباع لِطاعةِ اللهِ وعِبادةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ-.

إذًا فالعِلمُ أساسُ كُلِّ خير، وشأنُهُ عظيم، ولهذا أوصى اللهُ -تعالى- الأُمَّةَ به، وأوصى النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- أُمَّتهُ بذلِك، فكم من نصوصٍ أتتْ تحُثُّ على العِلم، من كِتابِ الله، ومِن سُنَّة رسولِهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-، فاللهُ -عزَّ وجلَّ- يقولُ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر:28]،

ويقول آمِرًا نبيَّهُ مُحمَّدًا - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- بالاستزادةِ من العِلم، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه:114]، فلو كان ثَمَّة شيء أعظم من العِلم لأمرَ اللهُ نبيَّهُ أن يسألَ ربَّهُ إيَّاه، ولكِن أمرهُ اللهُ -تعالى- بِما هُو خيرٌ لنبيِّه، وبما هُو أعظمُ شيءٍ في حياة الإنسان، وإن كان الأمرُ مُوجَّهًا للنَّبي - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-، معَ أنَّهُ هو الذي ينزِلُ عليهِ العِلم، ينزِلُ عليهِ الوَّحي صَباحَ مساء، فالأُمَّةُ من بابِ أولى أن يسترشدوا بطلبِ العِلم، وأن يسألوا ربَّهُم طَلَبَ العِلم، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه:114]،

ولذلِك شمَّرَ أهلُ العِلم، وطُلاَّبُ العِلم، من عهدِ صحابة النبي - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-، إلى وقتِنا هذا، إلى تحصيلِ العِلمِ الشَّرعي، واتِّباعِ آثارِ السَّلف، وجمعِ العِلم ليعملوا به، وكانَ هدفُ الأوَّلين أن يطلُب العِلم للعمل، وليعرِفَ السَّبيل المُنجي من ضلال الدنيا، وشقاءِ

الآخرة، لأنّ قلوبهُم كانت صافية، وأهدافهُم كانت نبيلة، واسترشادُهُم يكون بالقرآن، وبوصايا النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-، فتعلَّموا ليعملوا، سواءً عمل القلب الذي هُو تحقيقُ الولاء والبراء، والحُبُّ والبغض وسائر عِبادات القلب، أو أعمال الجوارِح، فكُلُّ ذلك من الدين، وليعرِفوا سبيل الفِرقة النَّاجية فيتمسَّكوا بهِ، ويعرفوا سُبُل الفِرق الهالِكة فيتجنبوا ذلك، وأوَّل من قام بذلِك صحابة النبي- صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- فإنَّ النبي - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- لَمَّا أخبر بافتراقِ الأُمة إلى ثلاثٍ وسبعين فِرقة، لم يكتفوا بذلِك، لم يكتفوا بمعرفة هذهِ المسألة، ولكِن سألوا بما يترتَّب على ذلِك، وبما ينجيهِم من سُبُل تُلكُم الفِرق، وليعرفوا سبيلَ الفِرقة النَّاجية، فيتمسَّكوا بطريقِها لينجوا، فيكونوا من أهلِ الفِرقة النَّاجية،

فقال -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-: « وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» ، لم يكتف الصَّحابة بهذا المعلوم لأنَّ هُناك ثمَّة شيء خطير بعدَ ذلِك، وهُو إمَّا أن يسلُكَ المرءُ فيُفتن بسبُل الفِرق الباطِلة، وهي أكثرُها، أو ينجوَ العبدُ فيتمسَّك بأهدابِ تِلكُم الفِرقة الواحِدة، فقال - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- مُبيِّنًا إيمانًا مُجملًا، أو عِلمًا مُجملًا وبيانًا مُجملًا، تنبني عليهِ وتتفرَّع منهُ فروع مسائل أهلِ السُنَّة، ولكن يرجِعون إلى هذا الأصل، وأنَّهُ ما اسْتُحدِثَ شيءٌ، فيردُّونهُ على هذا الأصل، لأنَّ سُبُلُ الأهواء، كُلُّ زمنٍ لهُ فِرق، ولهُ آراؤه، فيقيسُ العبد كُلْ ما يأتي فيزِنُهُ على تُلكُمُ القاعِدة العامَّة، فقال - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-: «مَا أَنَا عَلَيْهِ اليوم وَ أَصْحَابِي»، وفي رواية تُوضِّح ذلِك، قال: «الْجَمَاعَةُ» فدلَّ على أنَّ الجماعة أي

هم أهلُ السُّنة، هم الصَّحابة، وعقيدة الجماعة، هُو ما كان عليهِ صحابة الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم-، وهذا المُرادُ بِمعتقِد السَّلف،

فأولئك الجيل ومن اقتفى أثرهُم، يأخذون العِلم ليعملوا، وجاءت أدِلَّةٌ أخرى كثيرةٌ تُوَضِّح أنَّ الصَّحابة يحرِصوا على العِلم ليعملوا، بعكسِ من لم يتمسَّك بهذا السَّبيل، فإنَّهُم يتعلمون العِلم لِيُماروا بهِ السُّفهاء، وليستكثروا بهِ، فلذلِك كَثُرَ فيهِم الافتراق، وكثُر فيهِم الانحراف، وسُرعان ما يتبدَّلُ المرءُ في دينِه، فكُلُّ يوم تسْمع لهُ وجهة، وكُلَّ يوم لهُ رأي، وولاؤهُ يتخبَّط، وحُبُّهُ وبغضُهُ لا ينبني على المعتقدِ الصَّحيح؛ لأنَّهُ لم يتأسَّسْ تأسيسًا شرعيًّا صحيحًا، مبني على تحقيق الإخلاص والاتِّباع وطلب العِلم للعمل بِمقتضاه، فتخبَّط في بيداء الأهواء والآراء والبِدع.

انظُر أيضًا لحديث العِرباض بن سارية -رضي اللهُ عنه- لمَّا وعظَهُم النَّبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- موعِظة، وجِلتْ منها القلوب، وذرفَت منها العيون، فطلبوا من النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- وصيَّة، ليعملوا بمقتضاها، فينجوا من الهلاك، فالقوم إذًا نظرتُهُم ليست نظرة دُنيوية، ونظرة استكثار مسائل، بقدر ما يريدون النَّجاة، فوصّاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بوصايا وقعّد لهم قواعد عامة، تنفع العبد إلى قيام الساعة، فقال -صلى الله عليه وسلم-: « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي

فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»،

وصايا عظيمة علمية منهجية، تحفظ للعبد دينه ودنياه ويأمن على نفسه – بعد رحمة الله– من الفتن والأهواء المبني على الصدق؛ لأن الصدق منجاة وأعظم الصدق الصدق مع الله والصدق في التدين، ولهذا قل الصدق عند كثير من الناس اليوم، ورب العالمين جعل أمر الصدق له شأن عظيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:119]

﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ [المائدة:119]، فالصدق في التدين والتمسك هو المنجي بعد رحمة الله –عز وجل–، والصدق مبني على البصيرة التي نوه الله عليها عند الدعوة إلى الله وعند اقتفاء أثر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حيث قال –عز وجل–: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:108] أي: على علم على يقين على صدق، ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

مما يدل على أن الأولين كانوا يتعلمون العلم فإذا سمعوه عملوا به ويسألون عما هو نافع لهم، لَمَّا أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الدجال وهو على الغالب؛ فَهِم الصحابة أنه لا يكون في زمنهم وإن كانوا يقربون كل بعيد ولا يستبعدون ما يخبر الله عنه، كما هو حال الناس اليوم ينظرون لمسائل الساعة وما أخبر الله بها على أنها أمر مستبعد، هم ينظرون إليها

أنها تقع بينهم بين عشية وضحاها فلما أخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الدجال وأن يومه يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع وهكذا، انظر إلى كيف نظروا إلى مسألة مهمة، قالوا: إذًا كيف نصلي؟ لأن اليوم الذي كالسنة تطلع الشمس وما تغيب إلا بعد اثني عشر شهرًا وهكذا اليوم الذي عن شهر تظهر الشمس ولا تغيب إلا بعد ثلاثين يومًا وهكذا في الأسبوع، فكيف نصلي؟ كيف نقسم الخمس صلوات؟

انظر الفقه؛ لأنهم ينظرون إلى أن العلم للعمل، ينظرون إلى أن تعلم العلم للعمل وأن العبد خلق لطاعة الله، فوصاهم النبي-صلى الله عليه وسلم- بأنهم يقدروا قدرها يعني: كل وقت يوم كامل يقدرونه باثني عشرة ساعة فيصلون الصلوات الخمس، لا أنهم يصلون الصلوات الخمس في السنة خمس مرات فقط في اليوم الذي كسنة أو في اليوم كشهر، فاقدروا قدرها.

فالمقصود أن العلم من أعظم أسباب النجاة ومن أعظم أسباب السعادة إذا رامه العبد ليتعلم دينه ويعمل به، وهذا هو الشأن وهذا هو الفارق بين المتأخرين والمتقدمين، فإن الأولين تعلموا ليعملوا والآخرين تعلموا لتُرَى مجالسهم وليستكثروا -إلا من رحم الله-.

فالمقصود إخواني أن من أعظم أسباب النجاة ومن أعظم أسباب السعادة ومن أعظم أسباب الثبات على هدي النبي-صلى الله عليه وسلم- هو العلم، وترك العلم والبعد عن

أهل العلم من أعظم أسباب الفتن والأهواء والاختلاف والتنازع ومنه الطعن في العلماء وهذا علامة هلاك الإنسان، علامة هلاك الإنسان وعلامة بدعيته وانحرافه؛ البعد عن العلم وأهله أو الطعن في حملة أهل العلم والسنة، فإنه يُسبب رداءة له وانتكاسًا له، فما من أحدٍ عبر التاريخ طعن في أهل السنة وفي حملة السنة والعلم إلا كان سببًا لهلاكه وانحرافه وانتكاسه وهذا مصداق قول الله -تعالى- في الحديث القدسي: « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ »

وأولياء الله هم العلماء أهل السنة أهل الاتباع المنافحين عن دين الله المدافعين لدين الله المحافظين لدين الله من أي شوب يشوبه، فمن علامة هلاك المرء الطعن في العلماء وقد كثر في هذا الزمان؛ بشُبَه يستفعلونها ويستخرجونها؛ لأن لهم مقاصد من نشر التكفير وغير ذلك من المقاصد السيئة أو الطعن في الدعوة السلفية فيطعنون في حملتها أو يتخذون من أنفسهم أو اتُّخِذوا مركبًا لتحقيق مآرب جماعات، فاتَّخَذوا أولئك القوم الطعَّانين في العلماء مركبًا للوصول إلى مآربهم،

والحذر من دعاة الفتن ومن أصحابها ومن البدع أمرٌ نبَّه النبي -صلى الله عليه وسلم- عليه وسار عليه السلف من الخلفاء الراشدين لأن شرهم عظيم، وكلما كان المرء متلبسًا باسم الإسلام أو باسم الإسلام وهو يحارب الإسلام والسنة فخطره أشد وأضرب على ذلك مثالًا فرقة ظهرت في هذا الزمان ينتسبون إلى أو يتبعون محمود الحداد وهم الحداديون، يظهرون

للناس باسم أهل الحديث أو بانتسابهم لأئمة نَجد ودعوة أئمة نجد ويدندنون حول ذلك، وهم في الحقيقة يخالفون أئمة نجد، ويدعون الحديث وهم يخالفون مسلك أهل الحديث، ولكن يلبسون هذا الزي ليستقطبوا الناس ولتكون آراؤهم مقبولة، ولكن لا تنطوي على أهل العلم وأهل السنة؛ فهم طعانون في أهل العلم، يُلقون الشبه ويستخرجون زلات العلماء ويبدءون بعالمٍ تلو العالم، كما طعنوا في الشيخ الألباني وطعنوا في الشيخ ربيع ووصلوا إلى ابن تيمية وابن عثيمين وهكذا؛ يدندنون حول علماء أهل السنة؛ لإسقاط الدعوة السلفية وقد شُبِّعوا بشُبَه في نفوسهم، وربما يستفعلون بعض الشبه في الطعن في أهل العلم، كشبه أهل الإرجاء، ويتخذون كلمة وزلة أو شيئًا من ذلك، فيطعنون في العالم، أو يأتوا بكلامٍ مجمل دون التفصيل،

فالنجاة من مثل هؤلاء هو الارتباط بالسنة وأهلها، والارتباط بالعلماء حملة السنة، وبطلاب العلم الراسخين المتبعين، والحذر من أفكار هؤلاء وشبهات هؤلاء، والرجوع إلى ما كان عليه السلف، فيلبِّسون –مثلًا– في الإرجاء؛ والإرجاء شأنه معروف، من قال إن الإيمان قولٌ وعمل فقد برئ من الإرجاء.

والإرجاء: إخراج العمل عن الإيمان، وأما من يتكلم في العمل وترك العمل فهذه مسألة أخرى، الخوارج كانوا السلف يتكلمون عليهم في أنهم يرون أن فعل المعصية كفر، والمرجئة ضد ذلك، فهم يرون أن العمل خارج عن دائرة الإيمان وأن فعل المعصية لا يؤثر على إيمان

العبد، وأن إيمان العبد كامل بمجرد قوله لا إله إلا الله، ونقصان العمل لا يؤثر على الإيمان، ولم يقل أحد من أهل العلم بذلك،

يقولون إن الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد، وإن الإيمان يزيد وينقص، وإن من فعل الكبيرة فإنه يُعتبر فاسق، ويُعتبر مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، وأهل السنة وسط بين المرجئة وبين الخوارج في هذا الباب، وهذا أمرٌ مفروق معروف، وترك العمل فيه تفصيل عند أهل السنة، والصلاة وهي أعظم الأعمال بعد التوحيد؛ الأئمة الأربعة ولازال السلف يرون أن من ترك الصلاة تكاسلًا، فالأئمة الأربعة مالك والشافعي وأبو حنيفة ورواية عن أحمد بأن فعله من الكفر العملي مادام أنه في محيط التكاسل وليس في محيط الجحود والإنكار، وذلك كذلك عليه ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب،

ومن يُكفّر تارك الصلاة كابن باز وابن عثيمين والفوزان وغيرهم من أهل العلم يقولون بأن من يرى بأن تارك الصلاة غير كافر لا يسمونه مرجئة، قالوا: ولا يسمى مرجئ، فهي مسألة لا زالت فيها خلاف بين السلف وداخلة في طور الاجتهاد، ولكن جاء شرذمة ليس مقصدها إلا الطعن في حملة السُّنة، وإلا فهم ليسوا أغيَرَ على الدين من ابن باز وابن عثيمين، أخفي أمر الألباني وغيره على ابن عثيمين وابن باز حتى يأتي هؤلاء الأحداث الذين يصفون الألباني والشيخ ربيع بأنهم مرجئة بقولهم: من ترك العمل، بأنه مرجئ؟،

أين حديث النبي –صلى الله عليه وسلم-؟ في قوله: «يُخْرَجُ مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شعيرة مِنْ الْإِيمَانِ» ذرة من إيمان، في رواية: « لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ »، لا شك أن العمل من أمور الإيمان، وتارك الصلاة على خطر عظيم، وتارك العمل على خطر عظيم، ويصفه أهل السُّنة بالفسق وضعيف الإيمان، ولكن هناك نصوص يجب اتباعها، وحدود حدّها الشرع، وأسماء تتعلق في الإيمان والأحكام لا يتجاوزها أهل السُّنة يقفون عندها.

فالمقصود إخواني الذي أُوصي به نفسي وإياكم بالتمسك بوصية الله –عزّ وجل- وأعظمها التقوى، فإن أولئك الذين سلّطوا ألسنتهم على العلماء الربانيين وعلى حملة السُّنة قلّ التقوى في قلوبهم وقلّ الورع في نفوسهم، فحُدثاء أسنان وأُناس قليلي البضاعة في العلم يتطاولون على العلماء، ويلمزونهم بالإرجاء، والله هذا ناتج عن فضلًا عن الجهل وقلة العلم ناتج عن قلة التقوى والحياء والأدب وعدم اقتفاء آثار السلف في معاملة العلماء والورع والتقوى،

لو تربّى العبد على التقوى وعلى التديّن من نشأته وصغره والخوف من الله –عزّ وجل- والأدب مع الكبار لما تجرءوا مثل هذه الجرأة، ولكن هذه سببها قلة النشأة بين يدي العلماء، لذلك السلف لما قالوا: **"إذا رأيت الشاب أول نشوئه على أيدي أهل السُّنة فارجه"** ذلك لما في ذلك من أثر عظيم على الشاب لَمَّا يتربّى بين يدي العلماء، وأيضًا يتربّى على التديّن من صغره، تديّن الخشية من الله ومراقبة الله والخوف من الله –عزّ وجل- والحياء أيضًا «ليس مِنَّا مَنْ لَمْ يَرحمْ صَغيرَنا ولَمْ يَعرِفْ شَرَفَ كبيرِنا » أو كما جاء في الروايات.

فالنشأة لها دور عظيم في توجيه الشاب في باقي حياته، إذا نشأ الشاب على التدين، على الإخلاص لله، على التقوى، على الورع، على العلم، على مجالسة الكبار، على أخذ العلم عن الكبار، أنتج ذلك فيهم أدبًا وحياءً وخشيةً من الله، وصدقًا مع الله، واحترامًا للعلماء،

ولكن إذا نشأ الشاب بعيدًا عن العلم، بعيدًا عن العلماء، وأصبح متربيًا على القراءة دون الرجوع للعلماء سرعان ما يصيبه الغرور والعُجب، وسرعان ما يصيبه الهوى، وهذا الذي تلاحظونه، فتية صغار ربما ما يتجاوز أعمارهم بالعشرينات، يقوم أحدهم ويفسّق الألباني ويفسّق الشيخ ربيع، علماء بذلوا حياتهم في السنة مضت أعمارهم في خدمة دين الله – عز وجل– فيتجرأ مثل هؤلاء السفهاء الذين لم يتربوا تربية صحيحة ولم يأخذوا العلم من سبيله الصحيح ولم يقتفوا طريق السلف في طلب العلم، لاشك أنه ينتج مثل هذه الآراء الفاسدة وهذه الأخلاق السيئة عندهم، ومآلهم الانتكاس، ما سلك شخصٌ هذا السبيل الوخيم إلا نهايته الانتكاس، وقد رأينا ذلك في كثير من الناس ممن أراد أن يصعد على ظهور العلماء يسقط على أُمّ رأسه، لأن سنة الله في عباده أن الله ينصر أولياءه المتقين، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]،

ولا أعلم أحدًا أشد تقوى من العلماء الرّبانين؛ لأن الله وصفهم بذلك وأعني بعلماء السُّنة، نحن لا نقدس الأشخاص ولا ندعُو إلى التعصب ولا ندعُو إلى التقليد الأعمى ولكن أمرنا

الله بأن نُرجع الأمور إلى العلماء وأمرنا الله أن نُعطي للعلماء إجلالهم ومكانتهم، وأنّ الحُب والبغض من أعظم أوثق عرى الإيمان، وأعظم الناس حُبًا في الله هم العلماء أَتْبَاع الأنبياء وهم الرُّسل بين العباد وبين الله -سبحانه وتعالى- فإذا كان كما ذكر السلف أن الأنبياء هم الرسل بين العباد ورب العالمين والعلماء هم الرسل بين الناس وبين الأنبياء وما ترِكوه من إرثٍ علمي وإذا قيل من هم أولياء الله؟ لا شك أن أول ما يتبادر إلى الذهن العلماء الربانين أهل السنة «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ» بل إن الدفاع عن أهل العلم من أعظم الجهاد في سبيل الله والسلف جعلوا محبة العلماء وبغض العلماء علامة على السني من المبتدع،

السلف يقولون كما ذكر الصابوني في عقيدة أهل الحديث: **"إذا رأيت الرجل يحب أحمد ويحب مالكًا والشافعي فاعلم أنه صاحب سنة وإذا رأيت الرجل يبغض هؤلاء فاعلم أنه صاحب بدعة"**.

هؤلاء خرجوا على رموز أهل السنة الذين أجمع العلماء على مكانتهم فخرجوا في الساحة يلقون الشُبَه على الشباب وعلى طلاب العلم وأفسدوا نفوس الناس بسبب عُجبهم وغرورهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وانحراف تربيتهم ونشأتهم ولم يسلكوا مسلك السلف في الطلب، ولو أنهم سلكوا المسلك الشرعي الصحيح والمسلك السلفي الصحيح في

تلقي العلم لأنتج ذلك فيهم خيرا وثباتا ورسوخا ولكن لم يسلكوا في العلم طريقه و في التربية طريقتها الصحيحة.

المقصود أيها الإخوة أنني أوصي نفسي وإياكم بما هو سعادة للعبد في دنياه وآخرته وبما فيه ثباته على الإسلام والدين والعقيدة ألا وهو العلم الذي يكون مقصده العمل الذي يُثمر الخشية من الله والصدق مع الله ومحبة أهل السنة وعلى رأسهم أهل العلم وبغض أهل البدع وأهل الأهواء، العلم النافع ومعرفة سبيل السلف في تلقي العلم.

أسأل الله -سبحانه وتعالى-أن يوفقني وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه وأن يرزقنا الإخلاص والاتباع والصدق والثبات على السنة والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمـد.



جزى الله الشيخ على ما قدم وبارك الله فيه وأسأل الله -سبحانه وتعالى-أن يجعل ما قاله نافعًا لنا في دنيانا وأخرانا وكما ذكر الشيخ إنما العلم العمل نأخذ بهذه الوصايا ونعمل بها لعل الله – عز وجعل -أن يجعلنا من الناجين.



الأسئلة:

السؤال:

ما هو ضابط التفسيق والتبديع والتكفير؟ وهل يلزم الشخص أن يبدع ويفسق ويكفر؟

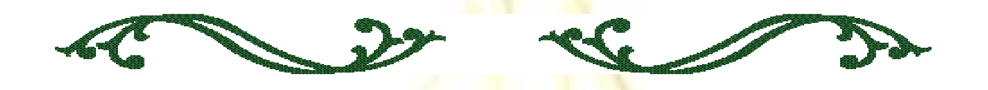
الجواب:

الحمد لله ضابط ذلك هو ما كان عليه الكتاب والسنة وما كان عليه السلف، فمن خالف أصول أهل السنة له أحكامه فالفسق له أحكامه والتبديع له أحكامه والتكفير له أحكامه، وأهم ضوابطها عدم الاستعجال والحرص أن يكون عند الإنسان ورع من تفسيق وتبديع وتكفير وأن يُرجع ذلك إلى أهل العلم أما على الاجمال فالتكفير مَن فعل مكفرًا وأقيمت عليه الحجة وأقيمت الشروط عليه وأزيلت الموانع فإن ذلك يكون مكفرًا له بعينه ولكن يكون ذلك عند أهل العلم أهل البصيرة، والأصل ألا يستعجل المرء في ذلك.

والتبديع من خالف أصلا من أصول أهل السنة، وعمل ببدعة وأحدث في دين الله ما ليس منه فهذا هو المبتدع.

والتفسيق، الفسق: الخروج عن الطاعة، وهو من فعل معصية وكبيرة فإنه عند أهل السنة يعد مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، المقصود أن الضابط هو إعادة الأمر إلى أهله؛ العلماء، وأن

طالب العلم ينبغي أن يكون عنده من الورع والتقوى والخوف من الله وألا يجازف فيدخل في هذا الباب، التكفير، هذا على الإجمال.



السؤال الآخر:

يقول: ماذا تنصحون من يقول إنكم تفرقون الأمة بتحذيركم من الدعاة وغيرهم الذين ليسوا على منهج السلف الصالح، ما تنصحنا اتجاه هؤلاء؟

الجواب:

الذي يحذر من دعاة الضلال والبدع فهذا في الحقيقة يعمل على جمع المسلمين لا على تفريقهم؛ لأن الأصل في الاجتماع هو العمل بدين الله.

فمن دعا إلى بدعة ودعا إلى منهج مخالف لما كان عليه السلف فهو في الحقيقة يفرق الأمة، فبالتحذير منه دعوة للاجتماع؛ لأن الله -عز وجل-يقول: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]

ولو كان التحذير من دعاة الفتن يفرق ما قام به السلف، فالسلف من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين وأئمة الإسلام كانوا يحذرون من دعاة الفتن، دعاة البدع، ويحذرون من مجالستهم.

هذا صبيغ بن عُسل لما كان يتكلم بالمتشابه حذر منه عمر، وأمر المسلمين كلهم أن لا يجلسوا إليه وإن جاءهم يتركوا مجلسهم، فكان صُبَيغ بن عُسل كالبعير الأجرب يهرب الناس منه، ما يأتي عند حلقة من حِلَق العلم إلا قاموا عنه وقالوا: عزمة أمير المؤمنين، حتى أصبح صُبيغ كالبعير الأجرب.

وهذا عبد الله بن عمر لما جاءه يحيى بن يعمر وأخبره عمن يقول بالقدر وأن الأمر أُنُف، قال: **"أَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي"**.

وهكذا الآثار كثيرة ولازال العلماء يحذرون وقد رد هذه الشبهة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في معرض رده على الصابوني، لما رد العلماء على الصابوني، وقال الصابوني: إني أربأ بالسلفيين أن يطعنوا في النووي وابن حجر ويفرقوا الأمة. فذكر ابن باز أن الرد على الباطل لا يعتبر تفريقًا للأمة وقال إن هذا من النصح الذي أخذه الله على أهل العلم، والواجب على أهل العلم.

والأصل حفظ دين الله -عز وجل-، أمَّا أن نترك أو يُترك الذين يتكلمون في دين الله ويدخِلون في دين الله ما ليس منه؛ فهذا خيانة لله ورسوله، والواجب التحذير من الباطل بجميع أشكاله، وهذا داخل ضمن حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-بقوله: «الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قِيلَ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»،

فالتحذير من الباطل ومن البدع ومن أصحابها هذا من النصح لله ورسوله ولعموم المسلمين، بل إن دعاة الفتن، دعاة الجماعات المخالِفة، الطاعنين في العلماء هم في الحقيقة يفرقون الأمة، فعندما يَرُد عليهم السلفيون ويكشفون أمرهم هذا في الحقيقة دفاع عن دين الله ونصح للمسلمين وجمع للمسلمين على الدين الصحيح.

الجمع الصحيح هو أن يكون على كتاب الله وعلى سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ولكن هذه القاعدة، هذه قاعدة الإخوان المسلمين الذين أفسدوا الدين ورققوا العقيدة في قلوب الناس، وجرأوا أهل البدع في أن يعملوا في نشر عقائدهم الفاسدة بين أهل السنة عندما قالوا: نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، حتى جرءوا الشيعة أن يعملوا بين أهل السنة، فشيعوا أهل السنة، فهذا لا شك أنه قول باطل، والاجتماع يكون على الحق،

ولذلك عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-يقول: **"الجماعة الحق وإن كنت وحدك"**.

والأنبياء يأتون يوم القيامة، يأتي النبي وليس معه أحد، والنبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان. هذا يدل على أن الأنبياء لم يسكتوا عن الباطل بل حذروا من الباطل.



جزى الله الشيخ على ما قدم، وبارك الله فيه، وجزاكم الله خيرًا على الحضور، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محـمد.



وجزاكم الله خيرا.